# اعترافات الأنا

أنا الآن واقفة في منتصف الطريق

# (اعترافات الأنا)

## (نوفيلا)

سلسبيل بنت عبد الباقي بن التهامي الخماسي

( تونس)

# سلسبيل الخماسي

أنا الآن واقفة في منتصف الطريق، أحملق في الأربع جهات دون أن أعلم أيها أسلك. إن الأمر محير.. هناك ضباب يغطّي الجزء الأكبر من المسلك الذي أريد أن أمشي فيه.. لا أرى جيّدا وهذا يحدّ من حرية الخيار.. هناك أيضا ثلوج تتساقط بلا توقّف وتبثّ قشعريرة غائرة في أعماقي.

من هذا الارتفاع، أبصر منازل ملتصقة تتهالك على بعضها والغريب أنّها كلّها عارية الأسقُف عدا واحداً حوّطته حديقة غنّاء. لم أرد الاقتراب ولا الابتعاد كذلك. كنت أهوى كل ما هو غريب ومثير. اندفعتُ أجري وسط الضباب وضربات قلبي المجنونة تزيد مع كل خطوة أتقدّمها إلى الأمام. كنت موقنة بأنّني سأتوقّف عندما يتوقّف ذلك الشيء النّابض بين ضلوعي، عندها فقط سينتهي الأمر.

كان هناك منعرج ينحدر نحو الهاوية يسارا. أسرعت نحوه وشهوة قوية تدفعني.. كان الظّلام الدّامس يتجانس مع الجزء المظلم مني، الجزء الذي لا يعلم بوجوده أحد سواي. تأهبت لأقفز بنشوة وتهوّر طفولي وإذا بقرص الشّمس يندلع بين حدقتيّ لتمتلئا بنور رائع بثّ السكينة فيّ وأشعرني بالسّلام.

سقط جسدي وحده في الجُرح الترابيّ وألفيت روحي تتمشّى في الأرجاء: لقد نجوت. أمسكت غصنا بين أصابعي المجروحة، ضغطتُ بقوّة وأسعدني أن أرى تدفّق الدّماء من كلومي. اتّحدت الدّماء مع الألم لتتوّج شعري المتماوج بإكليل من ورق الغار يقطر بعطر الحقيقة. كنت معلّقة بين أرض وسماء:

الأولى تُطبّب جسدي بشذى الورد والعنبر النّادر والثّانية تلامس أذيال الرّوح بأنامل عاجيّة.. بين ذينك العنصرين كنت امرأة لا ككلّ النّساء لأنني أبصرت أفقا لم تره أخرى قبلي.

باعدتُ بين غيمتين لألقي نظرة على ما تجاوزته في العالم البالي، تحديدا ذلك المكان الذي جئت منه. كنت أُوقع على غريزة تأصّلت فينا منذ وقت: دائما ما نتوقّف في لحظة ما، في مكان ما.. فقط لننظر إلى ما تركناه وراءنا ونرتجف لفكرة فقده. نشاهد بحسرة الجزيئات العالقة بالماضي وفي نفس الوقت نحمل على ظهورنا آجر المستقبل بكلّ إصرار وثقة نريد أن نحتفظ بهذا وذاك ونبكي بحرارة لأنّنا لا نستطيع.

تلك النّوارس المحلّقة

بيضاء ناصعة وشّاها السّواد المتعرّج على كلتا جناحيها اندلق ضوء القمر العاجيّ لينسكب على خشبة القارب ها هو اللّيل يلفّ الوجود بقماطه الدّاكن

وها هي السّماء صافية كقلب الرّضيع

أن تكون في مركز الجوهرة السّوداء تغازل الأمواج بسكون يمنح شعورا مبهجا بالصّفاء.

يسمح كذلك بتسرّب الهدوء إلى روحك المضطربة قرّرت أن أكتب قصّتي بحبر مختلف

بحبر مغموس في بحيرة الرّوح ومنابع الشّعور

أردت أن أبسطها كما هي دون إضافات

رحلة الإنسان الّتي بدأتها مذ فارقت حضن أمّي قاربت على الانتهاء تلك اللّحظة تقاذفتني بين شعورين: فرح غامر وفزع دفين

يبرز الاكتمال الإنساني عندما تصل الملامح البشريّة إلى مقصدها

قسماتي صخريّة متغضّنة

كانت استفاقتي عندما دقّت السّاعة تذكّرني بأنّ ما بقي من ساعات ليس أكثر ممّا فات.

في تلك اللّحظة وحدها، ارتعشت النوتة المنشودة في قلبي وعزفت سوناتا البحر الميّت.

استفقت من غفوة طالت عمرا وفتحت عينيّ واسعتين لتنطبع على صفحتها الألوان الحارّة والجميلة الّتي عنونت الحياة.

تألّقت دمعة غسلت الدّرن الّذي علق بي طويلا، طويلا جدّا

أيقنت حينها أنّني أخطأت في كثير من الأشياء وأصبت في القليل منها هذا لا ينفي أنّني ضيّعت الكثير أيضا

"خلّ البئر بغطاه ولا تتعب نفسك في البحث عن حقيقة في جوهرها

مبتورة دائما. فلكلّ شخص حقيقته الّتي يصنعها من خوفه وأوهامه. نحن لا نذهب نحو الحماقة عشقا فيها، ولكنّنا نذهب نحوها لأنّنا نرى فيها

خلاصنا الأبديّ. أشعر دائما بفداحة الخسارة الّتي لحقت بنا. كان يمكن لو أنّ الحياة منحتني مزيدا من الوقت لفعلت أكثر ممّا فعلته الآن، وربّما لوصلت إلى مصالحة عميقة بيني وبين مفقوداتي الكثيرة الّتي ضيّعتها في مسالك الحياة الصّعبة)"سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج(

هكذا ردّدت في أعماقي

اقتبلني هواء الصباح بذراعيه الحانيتين وربّت على كتفيّ الدّقيقين شعرت بتلك اللمسة بوضوح

سطعت الشّمس بقوّة في أحداقي لتجذبني نحو دوامة المرج النّوراني البديع

شممت عطرها الأثيريّ: هو مزيج من ورد وياسمين

ارتسمت الحقيقة في عقلي عندما شارف العمر على الثّمالة ورنّ في

آذاني سؤال غريب:

لماذا ؟ وهل ؟

هزّني وأعادني إلى رشدي المفقود

كنت "هي" دائما ولم أحاول قطّ أن أكون أنا

"هي" الأخرى وليدة الظّروف لا أنا

"هي" التي تحسب لكلّ شيء حساب وتصنع من كلّ همّ قرابا "هي" المتردّدة دائما وأيضا "هي" الوحيدة

وحدة عظيمة الأثر في تكويني تأخذني مويجاتها بين مدّ وجزر ومن جانب إلى آخر

في كلّ يوم، أتلظّى بأُوارها الهادئ قرّرت بعدها أن أرحل

أمسكت مجدافي الأبنوسيّ وجدّفت بعيدا بعيدا

بعيدا عن كلّ هذا الضّجيج الّذي يصمّ آذاني وهاته الفوضى الّتي هزّت أوصالي طويلا

هناك لقيت السّكون

أحسست أنّ السّكينة قد وجدت سبيلها إلى داخلي وأطلقت تنهيدة ارتياح

هيمانة في دروب الماضي، تائهة في تكاليف الحاضر، وهائمة في متاهات الآتي

وقفت شامخة أسرّح بصري في اللّا منتهى.

"آه، لكم وددت دائما أن أركب على جناح النّورس وأحلّق بين الغيوم الصّغيرة

أردت أن أمسك نجمة بين أصابعي وأسرق نورها لأدفنه في قلبي تقت إلى إمساك ريشة لأكتب بها الأحرف على بساط الهواء

لو أنّني عندها أبني منزلا فوق السّحابة الملساء وأستلقي بجانب نافذته لأتابع شروق بنت العلاء، لو أنّني بعدها أغفو ثمّ أفيق لأشهد تنصيب ملك الظّلماء

لو أنّني أمضي ليلتي أعدّ قطع الألماس الّتي رصّعت السّماء

آه فقط لو استطعت

لو استطعت الخلاص من نير واقع يدعونها "القدر" وحياة يسمّونها "واجبا

مفروضا"

لم أستطع كسر تلك الأغلال"

رغم ذلك، استطعت الإبحار ووصلت إلى ما وصلت التهمني سحر القبّة الفيروزية وأوقعني أسيرته الألوان خافتة، لطيفة، تذكرك النّقاء الطّفوليّ

العشب المبلّل بقطرات النّدى الورود المخضلّة بالهمى

وطعم الحلوى الممزوج بالشوكولا

غصت في عمق أناي أفتّش عنّي فهل وجدتُني؟

تجرّدت من مزق أمسي ووهبت جسدي لأشعّة الشّمس النّاعمة لطالما ارتكبت حماقات في حياتي ولا زلت أفعل

أخطأت أحيانا وأصبت حينا

لكنّني حين قرّرت أن أكتب هربت الأحرف منّي

أمسكت القلم الحبريّ بشدّة واتّحدت أصابعي وهي تطبق عليه وقد اصطدمت ببرودته القاسية

سقطت من حبيبتيه قطرة

غاصت في قلب البحيرة السّوداء عميقا نقطة باهتة صغيرة

انسكب المداد بعدها ليغرق الورق ووراءه خيط الذّاكرة ينساب الهوينى أمام ناظريّ

ليست الحياة في الحقيقة سوى مسرحية من ثلاثة فصول:

أولاها الوصال وثانيها الهجران وثالثها اللّقاء تتناوب معا لتشكّل الإنسان. ذاك الّذي يفعل ويفعل ولا يريد أن يُفعل به ويرى أنّ من حقّه أن يفعل ما يفعله. وبعد أن يملّ الفعل يرى أنّ ما في حياته من أحداث ما عيش إلّا ليخلّد ويُكتب في بضع صحائف.

"هل الورق مطفأة الذّاكرة؟

نترك فوقه كلّ مرّة رماد سيجارة الحنين الأخيرة وبقايا الخيبة الأخيرة؟"

(ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي)

اتّسمت تلك اللّيلة بعطر مختلف، عطر ملأ صدري وبعث غفوة لذيذة في فؤادي. كانت النّجوم تتألّق بغنج في قلب الدّجن المحيط: ظلام دامس لفّ الكون داخله وقد ضمّه ضمّة العجوز الواقف على حافّة الحياة.

وقفتُ في تلك اللّيلة من ليالي ديسمبر الباردة أمام نافذة أشدّ إزاري إليّ خوفا من غائلة العناصر المتقلّبة وشغّلت جراموفوني على لحن هادئ داعب مسمعي.

شعرت بخدر لذيذ يخالطني

الموسيقى الدّافئة تذيب أعصابي وتدفعني دفعا لتصفّح دفاتر الماضي

دفاتر أحصيتُ فيها على سفينة الأقدار زلّاتها وهناتها ونقشت داخلها

أحداثا كان لها أكبر الوقع في حياتي.

عدت إلى نافذتي لأجد كويرات الثّلج النّاصعة قد بدأت في التّساقط بنعومة على الثّرى النّائم.

شُدهت وبقيت معجبة حتّى انفلتت منّي الدّفاتر وتناثرت أوراقها.

من بينها التقطت عينايّ اسما غاص كالخنجر فيّ. كنت قد عاهدت النّفس على النّسيان.

رمقني "...." بعينين لا تطرفان

رمقني في ذلك اليوم بنظرة غريبة حرت في تفسيرها وتأمّلت مزيج من الأمل الوليد واليأس القعيد واللّهفة المكتومة والرّغبة المكبوتة. انتظرت منه أن يُقبل نحوي.. لم يفعل.

تألّقت دمعتي الخفيّة ولم أستطع لها دفعا بيد أنّه لم يرها ولم يشعر بالملوحة الّتي تسرّبت إلى شفاهي.

كان في خاطري أن أنتظر ولو طويلا غير أنّ بادرة للتقدّم لم تبد منه.

حينها انفلتت الصّرخة منّي: صرخة طفلة وحيدة وامرأة متروكة.

" إنّها لخطيئتي الأولى أن أحببتك وقد كان في خاطري أن أتوب لكنّ معصية تجرّ معاصي وبذلك علقت ولم أستطع منك فكاكا. امتلأ فراغ قلبي

عندما تقابلنا. عند الذّهاب، افترقت الطّرق. لن أقول إنّنا كنّا معا، إلّا أنّ وجودك كان يحسّسني بالامتلاء والآن امتدّ الفراغ ليغرق كلّ شيء. سجنت نفسي في سجن قلبي وبقيت هناك معدومة الحيلة مكلومة فاقدة للشّعور.

سأتوقّف، سأعيد النّظر في كلّ شيء وربّما في كلّ القيم الاجتماعيّة، سأعيد بناء ما هدمته يد الزّمان بداخلي معك أو بدونك."

انحدرت من مقلتاي دموع غزيرة شعرت بها تمسح الدّنس النديّ الّذي غطّى روحي طويلا.

هل حان الوقت الآن؟ هل حان الوقت لأعترف لنفسي بنفسي وأشكرها لصبرها طيلة كلّ هذا العمر على امتهاني واحتقاري لها.

لم أكن أرى نفسي قبل هذا إلّا في عينيه وبعد أن مرّت أيّامي عرفت أنّني في هذا أخطأتُ.

عدّلت المنظار وتأمّلتُني جيّدا وغمرتني موجة من الفخر سرت بداخلي. حقيقة أنا سعيدة: نأأ

"سعيدة جدّا ببساطتي في رؤية الأشياء سعيدة بما أنا عليه الآن

بسعادتي المفرطة بالتّفاصيل الصغيرة

بابتسامتي التي لا تفارقني أينما كنت بحزني البائس البسيط، الّذي لا يؤذي أحدا

بحبّي الصادق العميق، الّذي عندما شاء القدر أن يؤذي لم يؤذ سواي

سعيدة جدا بدموعي الّتي تعبّر عن أكثر من شعور: عن الحزن والسعادة والتّضامن والحبّ والوفاء والاشتياق ومئات آلاف المشاعر الأخرى...

سعيدة جدّا لأنّني لو لم أكن أنا

لتمنّيت أن أكونني" )اقتباس(

حينها، رأيت الظلّ مرتسما على أثر الشّمس أمامي مسحت الخيوط الذهبيّة الدّموع النديّة من على وجنتيّ السّحب تمرّ متتابعة في تناغم جميل

شدو العصفور البريء يحاوطني في شكل غيمة

أغمضت عينيّ قليلا

لا أريد أن تنتهي حياتي الآن، سأترك ثلاث نقط مشدودة بحبل الآتي لن أحطّم حلما ضمّني بين أحضانه

ستظلّ الذّكرى حيّة في وجداني

أيقنت أنّ هناك آخرين غيره لهم بصمة بارزة في حياتي

آخرون من الممكن أن اهتمّ بهم وأشعر بوجودهم بعد أن انتفضت عن غباري

لربّما حان الوقت

ربّما...

عبرت حينها نهر الحياة الّذي داخله مفقود ومغادره مولود هناك كنت أنظر بعينين واسعتين إلى المدى

سريت بفلكي في خضمّ الموج العاتي والمياه تتهافت على أعضائي

اختلجت أضواء الغروب الفاترة

صفعتني الرّياح بقسوة غير مألوفة

استيقظت لتجذبني الشّمس نحو دوّامة ألوانها المجنونة بسرعة مباغتة فلم أجد في نفسي رغبة للمقاومة

تأمّلتها بشغف

حمراء دمويّة تشتعل فورة وغضبا

بدت بلونها القرمزي القاتم كتفّاحة الغواية الأولى ارتعشت يدي السّمراء وارتعشت خيوطها مثلي

تعانقت نظراتنا لوهلة قصيرة اختلج فيها قلبي كالطّائر المذبوح

كنت أرقبها بأمل مكبوت ودهشة سرت في كياني كلّه إذ أنّ شمسي الأخرى هي كذلك على وشك الغروب أو علّها فعلت فلست أدري

تغازلت الألوان لتتّحد في كتلة لازوردية مزّقت زرقة السّماء

تهادت الخيوط الذّهبيّة كسلى

استعاد ذهني صفاءه وأحسست للحظة كم أنّي كنت هشّة كجناحي فراشة رقيقة

سألت نفسي لوهلة "دنيانا، ما هي؟"

نقاط تتالى ثمّ تتفرّع ثمّ تنفرط كلّ نقطة لحالها

تراقصت أمامي صورة "مريم المجدلية" بكلّ إغرائها في لباسها الأحمر الشهيّ

الدّنيا ومريم المجدلية

كم أدركت أنّهما متماثلتان للغاية

كلتاهما آسرة ليس من رونقها سوى فتنتها الأولى رُجمت والثّانية تنتظر النهاية...

غرقت ساكنة في عمق المياه ونيرانها تُلهب جفوني المحدّقة فيها بإمعان

بلى، لقلبي في اشتعاله أشبه بها في هبوطها وإنّ صرختها لتهزّ أوصالي مرتسمة بوضوح على ملامحي المتعبة

غاصت الكتلة العظيمة ولم يبق منها إلّا ذبالة من ضياء أضاءت وجهي ثمّ اختفت

مع ذلك بقيت أرقب المشهد بافتتان

أرقب وأرقب والظّلام يلقي بأحماله ويلفّني بردائه وأنا مع ذلك منتظرة ساكتة وقد علت محيّاي ابتسامة خافتة وارتخت أعضائي وأنا أجدّ بحثا عن أثر الشّمس على وجنتيّ المتجعّدتين

لوحة بديعة استهوت روحي المحطّمة وصعدت بها إلى العلاء في تجانس ملحوظ بين عناصرها وشعوري لتترك على ذراعي وسم الحبّ

مرّت السّويعات سريعا وأنا على حالي حتّى تأهّبت للظّهور غير أنّها استحيت أن تفجأ الأنام بحلولها فآثرت الاستتار ببضع غييمات نقيّة ومع ذلك ألقت شعاعا ضئيلا لا يكاد يُحسّ على النّائمة السّارحة كان كفيلا بإعادة الحياة إلى أوصالها عدت أنظر...

"حديث الشّمس"

ها هو الضّياء يغمر أنحاء المعمورة وها هي العروس تشرق من خدرها

ماذا تفعلين هاهنا أيّتها العظيمة؟ وما جلوسك على عرشك دون سلام حارّ ولا سؤال ملهوف؟

تمازجت الألوان في قرصك النّاريّ وتعانقت عناقا شديدا واتّسمت الأضواء المنبعثة منك برجفة لم يحسّها أحد غيري

مزّقت السّحب البيضاء وانحدرت سريعا نحو الجبال السّوداء تدفنين نورك فيها فما حدا بك نحو تلك الفعلة العجيبة؟

مررت بشعب وفجاج متنوّعة وسلكت سبلا متفرّقة ولكن، ولكن...

لكنّك يا سيّدة الصّباح توانيت في إلقاء تحيّتك عليّ. لماذا لماذا لماذا؟

بلى قد علمت بغريزة الأنثى فيك فلا تتركيني لمجرّد أنّ توسّلاتي لمن قبلك قيّدها الخوف الأبله من حديث العالمين

لا تتراجعي واغمري روحي بقبضة من ضياء تشفيني... "حديث البحر"

ها قد انعكست عليك أشعّتها فبتّ مرآة مصقولة تشعّ نورا

للّه ما أحلاك وما أسنى صفاءك وما أروع تموّجاتك الّتي تداعب الآذان في استحياء محبّبة

كلّما تأمّلتك أكثر تهت فيك فما أقوى سحرك

إنّ فيك شيئا من حيل العناكب تستميل الفريسة بوهن عشّها فتقع في أحبولة لا خلاص منها

في تلك الأحبولة وقعتُ وفي أحبولة مغناطيسيتك استسلمت

"من هذه الهاربة من عالمها لتقف أمامي وتتملّقني بجزيل المقول؟ من تلك الّتي تركت أحلام المدينة الصّاخبة وهرعت تسفر عن حقيقتها في حضرتي؟ من تلك الّتي تسربلت بالسواد والتحفت بالبسمة الكاذبة وجاءت تساررني؟"

هكذا أوحى إليّ رنين الموج في أعماقي فانطلقت صيحتي لتتردّد مرارا في

الأرجاء:

"ويحتاه، كشفت خبيئتي الشّمس وما خفي أمري عنك أيّها البحر...

قد كذبت على كلّ من ناجيت فما سربل الفؤاد لوعة طعنة نجلاء أصابت منّي مقتلا بيد ذاك الّذي اتّخذته صفيّا وخليلا.

ها أنت ترى الدّماء تسيل من بين شفاهي مع كلمي وها هو الأنين يتصاعد عاليا ليصمّ الآذان فهل سمعته يا سيّدي؟

"حديث النّفس"

يقولون دائما "الهدوء الذي يسبق العاصفة" علّني تلك العاصفة ولا أدري

غابت الكلمات عن عقلي لكنّ حسّي في ذات الحين ألّف أسفارا عدّة من الكتب المجهولة

من الكتب الّتي لم يقرأها أحد لأنّها لا تُرى بالعين المجرّدة أريد أن أموت وأفارق هذه الحياة الكاذبة

ألم يحزن أحدكم في حياته قطّ؟

لا بدّ أنّكم فعلتم بقدري أقلّ أو أكثر

تخلبني فكرة الرّحيل عن هذا العالم مهما تتالت فيه المسرّات فالرّحيل يبقى الحلّ الأمثل

لعلّ روحي بالغت في تحليقها نحو الأعالي فهي شغوفة بالتّغيير

شغوفة بالمخاطر والمنعرجات

وأهمّ ما في الأمر أنّها تنتظر النّشوة الكبرى عند معانقتها للأرض الأمّ عندما تستنشق شذى الرحم الّذي أنجبها وحيدة غريبة في قومها سمّها "الأرض" سمّها "الحياة" سمّها "الطّبيعة" سمّها "الخيال" مجسّدا

النّاس مغرمون بتسمية الأشياء لذلك سأعطيها إسما من عندي هو "الخلود"

لكم أن تعترضوا أو توافقوا فسيّان عندي رضاكم أو نفرتكم

لست أكتب سوى لأنفّس عن النّفس ثورتها ولأمنع تناثر العبرات على وجنتيّ

أحلام داعبتني ولا زالت

كثيرة هي ومتشعّبة لا أرى نهايتها

إنّ ركود العواطف زمنا طويلا يجعل منك شخصا آخر

سترى أنك تتحول شيئا فشيئا إلى هلام من جلد وعظم لا تعرفه

تدعى إنسانا ويسمّونك باسمك ووحدك تعلم أنّك لست أنت، لست من كان يصارع ليظفر بما يريده

لست الملتهب بالحماس السّائر نحو الحرّية هذه الأخيرة كنت تراها تلمع من بعيد

حلوة، لطيفة، رقيقة

لكنّني)ك( تلاحظ أنّها سارت متلفّعة بنقاب يحجبها عنك يا صديقي هل تعلم من أنا الآن

ممثّلة مرموقة ترتدي شبه قناع كادت تمزّقاته تكشفني، تتظاهر بالمشاركة في المسرحية الكبرى بينما هي غارقة في لجّة البحر العميق

غارقة هناك في الظّلام الدّامس وتوّاقة دائما وأبدا إلى الحريّة

الحريّة الّتي تستلقي أمامها الآن مسجاة عليها كفنها الأبيض بياضا يعمي العيون

عظيمة كانت في حياتها وعظيمة كذلك بعد مماتها

م..مه...مهلا.. هاهي أجفانها ترتعش إنّ يداها تتشبّثان برمق الحياة الباقي ترفض المغادرة رفضا قاطعا

ها قد جمد القلم إجلالا للمشهد الغريب قامت السيّدة المفارقة على قدميها

هذا ما يحصل في كلّ قرن وما هذه إلّا نسخة مكرّرة شهدتها بنفسي "إنّ للرّوح الطّائرة أبعادا أسمى من أن تخفى"

قد تودّ أحيانا المغادرة لا تستطيع...

حيث أنّها مكبّلة بقيود أشدّ قوّة ممّا في أيدينا

الشّعلة لا تخمد بل تخفت آن الضّجيج الإنساني العالي وتعاود الظّهور ثانية عندما يعمّ السّكون هذا العالم الكبير

يائسة يتدفّق الدّم من جروحها تقف على القمّة

تماما "كالنّسر فوق القمّة الشمّاء" لكنّه نسر محطّم تراها الممثّلة الّتي تناساها الكلّ في غمرة انبهارهم

لم يعجبوا بشجاعة القائمة من رفاتها وإنّما بقيامتها اللّامعقولة حسب زعمهم

أي أنّهم تركوا لُباب الشّيء والتفتوا إلى قشرته الملساء المهملة هؤلاء هم النّاس

في كلّ زمان ومكان يعاودون نفس الأخطاء وعين الهفوات

يرون الجوهرة فيحسبون قيمتها متناسينا بريق الأمل النّابع من جوفها يرون التّحفة فيشترونها لا لأنّها جميلة بل ليباهوا بها الأصحاب والخلّان قامت

بساقين مرتجفتين تحملانها في وهن نحو تلك المتمعّنة في الأعالي

لملمت شتاتها واسترجعت اليقين بحياة جديدة

جمّعت أشلاء أحلامها الّتي تناثرت منذ قليل على الرّصيف ليدوسها المارّون والعائدون إلى منازلهم

فكّرت قليلا: "مهما قاومت الحياة وباهيت بالموت فستبقى الرّابطة الأقوى تمنعني من التخلّي عنها"

صحيح أنّها جرحتها هي الأخرى غير أنّ في أفعالها شيء من الرّحمة المكتومة والحنان المغلّف بالقسوة

"الشكّ طريق إلى الإيمان"

أينبغي في هذه اللّحظة الحرجة أن تصدّق هذه الكلمات لطالما شكّت في أفاعيل الحياة وها هي توقن أخيرا بجدواها لم تستطع أن تصل لكن لازال بإمكانها المحاولة

انهمرت الدّموع جداول تبلّل صدرها العاجيّ لتطهّر روحها

لم تتمالك نفسها وعانقت الواقفة إلى جوارها عناقا حارّا

التفتت إليها المرأة الأخرى غير مصدّقة لكنّ نجمة تألّقت على صفحة الغدير السّابح في عينيها

تعانقتا طويلا طويلا

ذلك العناق الحارّ ولّد هالة من النّور أحاطت بكلتيهما

غمرهما نسيم لطيف وغابت الجروح المقروحة عن جسديهما المتلاصقين وبذلك صارتا أختين خالدتين بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى

لقد عرفتا الحكمة من وجودهما والأهمّ كيف تعيشان إنّ الحياة رحيق عذب ممزوج بالمرارة

السّعادة رونقها بديع وأصلها كآبة عميقة لكنّها لذيذة

هي المذاق الحامض الّذي يغمرنا جميعا بروعته

واقفتين على ضفاف النّهر الجاري، مُوقّعتين على ألحان النّسيم، محاطتين بعصافير الغاب الكثيف

اختتمت الفتاتان – الحريّة /الرّوح عادت بدون قيود صغرى فلا حاجة لتذكّر السيّدة العجوز- حكايتهما بإلقاء الأنشودة الأخيرة لهما:

"دموع رقراقة

على صفحة العين تتماوج والحزن الرّاقد في الأعماق يهتزّ ليحدث ثورة عارمة الحبّ والصّداقة والآمال كلّها لوحة عجيبة

الصّيف الرّبيعيّ يظهر ويغيب السّعادة مزحة

أو ربّما كذبة لكنّها موجودة الحزن حلم

أم هو حقيقة راسخة لكنّه موجود كذلك

هذان الكيانان موجودان مثل الشّمس والقمر النّور والضّياء

بدرجات متفاوتة غالبا

ما يترعرع في أعماقنا الرقّة والطّرب

سواء لهذا ولذاك

القلب لغز الأثير

هو جامع لتقلّبات الشّتاء ونسمات الخريف وشمس الصّيف ونقاوة الرّبيع الدّافقة"

الوداع...